عوالم الرواية العربية السعودية المعاصرة

قراءة فى فكر " الشنطى " النقدي

بقلم
د / ضيف الله بن مريزيق السحيمي

أستاذ الأدب العربي المساعد
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمدينة المنورة – جامعة طيبة

بإصدار شهر يناير لعام 2016 م
شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

تقديم ..

لا يختلف اثنان على أنّ الرواية العربية السعودية قد شهدت في العقود الأخيرة من القرن المنصرم (العشرين) وحتّى أوائل الألفية الثالثة كثيراً من التحوّلات في ضوء ذلك التحول المجتمعي ، والسياسي، والمعرفي ، الذي يشهده عالمنا العربي اليوم ؛ لاسيّما مع تلك الثورة المعلوماتية العالمية ، وما أفرزته من انفتاح على الآخر ، أو مواجهة ، أو صدام معه ؛ وانعكاس ذلك الانفتاح على تشكّل هذا الجنس الأدبي فنياً ، من حيث نمذجته ، ومذهبته ، وتعدد أصواته التي أراها – في حقيقة الأمر- صوتاً واحداً ،محلّقاً في عوالم الذات ، والمجتمع ، والحضارة العربية ؛ ومتجاوزاً حدود الوجدان العربي إلي آفاقٍ أرحب ، وأوسع ، نحو الآخر لإقرار مثاقفة حقيقة عادلة مع ذلك الآخر/ الغرب ، تبرز مدى نضج الذات العربية ، وعياً ، وإدراكاً ، في إبداعها المعاصر .

وما كان للرواية السعودية أن تحتل هذه المكانة ، وتلك الخصوصية من الدرس والبحث والجدل بين النقاد، لولا المنجز الذي حققته في خطابها على المستوى المجتمعي الجمعي ، وما وصلت إليه من تشكل فنيّ ملحوظ في التعبير ،والأسلوب ،والبناء العام ،الذي تغير في المعاصرة ،للوصول إلي عوالم جديدة في مساقاتها ، وتحوّل مع تحولات المجتمع العربي وبخاصة السعودي في تطوره في الآونة الأخيرة .. هيأ ذلك المناخ الطريق لإيجاد حركات نقدية هنا وهناك حول الرواية السعودية ، داخل المملكة وخارجها ، ترصد نشأتها ، وتظهر تحولاتها ، وتبرز روادها وجهودهم في تجديد عوالمها ، وموضوعاتها . ومن عباءة هذه الحركات النقدية جاءت دراسات الناقد الأردني ،الفلسطيني الأصل الدكتور محمد صالح الشنطي حول الرواية السعودية ، في كتابيه : في الأدب العربي السعودي .. فنونه واتجاهاته ونماذج منه ، وفنّ الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر.

وقد فرضت طبيعة هذه المقاربات النقدية على ناقدنا استقراءً وتتبّعاً دقيقين لعوالم الرواية السعودية ، وتجليات خطابها ، وأبرز روادها ، رغبة في الوقوف على تحوّلات ذلك الفن الإبداعيّ العجيب ، الذي يستشرف العوالم الشائكة الواقعية في مجتمعاتها ، من هموم ،وجراحات ،وصراعات ،ومكابدات ،وآمال، وآلام ، وثقافة ، وفكر ، ومعرفة ، ومدنية ، وقومية ، وإنسانية ؛ وهو مايفسر ما يقال عن ذلكم الفن (الروائي) من أنه : فن مثير للجدل دائماً ، مثير للطرح ، مثير للفرضيات ، مثير لوجهات النظر المتعددة، والمتباينة . الأمر الذي يعكس موقع الرواية على خارطة الإبداع العربي ، ومن ثمّ موقع الروائيين والنقاد والدارسين لهذا الفن .

وها هي ذي تلك الصفحات تُحاول رصد نبض أحد النقاد العرب ، ممن أعطى ربيع عمره لعوالم الرواية العربية في أرض الحرمين الشريفين ؛ مستشرفة آفاق فكره النقدي في عوالم ذلكم الجنس الأدبي في إطار البُنى الاجتماعية ،والسياسية ، والثقافية ،وغيرها من اتجاهات ورؤى ، وتأثير وتأثر ، وطرح ،ومعالجات متباينة ، بوصف الرواية " نصاً موازياً للواقع ، تأخذ من الواقع بقدر ما تُعيد إليه من أسئلة وافتراضات ، واستجوابات ... بل نصاً يُتيح الحديث عن الممكن ، أو ما ينبغي أن يكون (1) .

ولتفهّم حقيقة هذا الفكر النقدي والوقوف على آفاقه ، يجئ هذا الطرح "عوالم الرواية العربية السعودية ..قراءة في فكر (الشنطي) النقدي " ، عبر هذين المحورين :

= الأول : (الشنطي) ..سطور من ربيع العمر .
= الثاني : مقاربات (الشنطي) النقدية في عوالم الرواية السعودية المعاصرة..

أسأل الله أن تقدم هذه الصفحات جديداً عن عوالم الرواية العربية السعودية ، وأن تنجو في مقارباتها من الوهن والشطط ؛ وإن فقدت الجدّة فيكفيها أن تكون مدخلاً أو تمهيداً لبحوث ودراسات تأتي من بعدها ، أكثر عمقاً ، وأعم وأشمل ممّا تناولته وتوقفت عنده .. إنّ ربّي سميع مجيب.

د. ضيف الله السحيمي

• المحور الأول : (الشنطي) .. سطور من ربيع العمر

كثيرة هي القلوب التي خفقت بحبّ الإبداع العربي في بلاد الحرمين ، وأخلصت لمبدعيه ؛ ليس تكلّفاً ، ولا تزلّفاً ، ولا تقرّباً لأشخاص بأعينهم ، ولكن خصوبة هذا الإبداع ، وأصالته أوجدت مُناخاً صحياً لتتفاعل معه العقول ، وتطربَ له القلوب ، وتستجيبَ له

أقلام النقاد من كلّ حدب وصوب ، بالدرس والبحث والنقد ، ممّا رصد جلّه مرجعان فريدان للناقدين السعوديين : الأستاذ الدكتور محمد بن عبدالرحمن الرّبيع في كتابه : " الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب (2) " ، والأستاذ الدكتور عبدالله بن عبد الرحمن الحيدري في كتابه : " الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ببليوجرافيا (3) " ؛ وما توقف عنده كاتب هذه السطور في دراسته : " الدكتور صابر عبدالدايم يونس في خطابه النقدي .. الشعر السعودي أنموذجاً " ، حيث أحصى أكثر من ثلاثين مرجعاً استشرف نقّادها – من أهل مصر – آفاق الإبداع السعودي بأجناسه المتباينة ، وتجاربه المتنوعة بتحوّلاتها في المعاصرة (4).

ويأتي الناقد الأردني ، الفلسطيني الأرومة (5) ، الأستاذ الدكتور محمد صالح الشنطي ليحتل مكانة مرموقة بين النقاد العرب الذين احتفوا بالإبداع العربي السعودي في المعاصرة .. جمعاً ودراسةً ، تنظيراً وتأصيلاً ، وبحثاً ونقداً . حيث قضى ربيع عمره في المملكة العربية السعودية مُعلّماً ، وأديباً ناقداً ، وأكاديمياً فاعلاً ؛ ما يقرب من سبعة وثلاثين عاماً من العطاء المتنوع الذي تعدّى العشرين مؤلفاً ، أكثرها في الأدب السعودي ونقده ؛ حصاد معايشة صادقة لأدباء المملكة . امتدت هذه السنوات الطويلة ، " يكتب عن (القادمين) و (والواعدين) بحماس كبير .. يتابعهم في الملحقات الثقافية التي كانت

تصدر بروح ساطعة وأمل وهّاج .. يكتب دراسات نقدية عن هذا وذاك ..يسافر من مدينة إلي أخرى .. من حائل إلي فرسان .. ومن البحر الأحمر إلي الخليج . . من أمسية إلي منتدى .. من قصّة إلي قصيدة .. من منبر إلي آخر .. يُقيم الأعراس لكلّ الموهوبين في أرض الحرمين .. ويُشعل القناديل في ليلٍ بأسمائهم لامعة كالنجوم في الأعالي .. وإشراقة هناك .. يخصّص (ملفاً) لهذا أو لذاك . متابعاً الضوء منهمراً . يرقص قلبه فرحاً حين يُصادف إبداعاً ... أسماءٌ كثيرة بشّر بسطوعها فسطعت ، وانهمر ضوؤها غزيراً وناصعاً

وعميقاً ..فيما هو يعمل مثل الشمس ... يمنح الساحة الأدبية في المملكة ضوءَ عينيه ، ونبض قلبه، وزهرة روحه ..(6) ؛ حتى وهب المكتبة العربية السعودية أغلى ما يكون من ربيع عمره ، من مؤلفات عديدة أبرزها :

= **القصة السعودية المعاصرة .**
= **النقد الأدبي المعاصرة في المملكة العربية السعودية .. ملامحه واتّجاهاته وقضاياه (في مجلدين).**
= **التجربة الشعرية في الأدب العربي السعودي المعاصر (في مجلدين).**
= **فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر** (7) ، وهو عمدة هذا البحث مع الفصل الذي أفرده للرواية في كتابه التالي (في الأدب العربي السعودي ...) ، و الذي نقف من خلالهما على أهم ملامح خطابه النقدي ، وأبرز عطاءات ذلكم الناقد لفنّ الرواية السعودية ، التي غدت تُشكل عصب المجتمع ، بل وحقيقة وجوده ، مؤكدة أنّ المبدع العربي قد وصل إلي مرحلة النُّضج الإبداعي في مواجهة واقعه وقضاياه ، عبر نصوصها المتباينة في خطابها الفنّي ، وتأكيدها الذات العربية.

= **في الأدب العربي السعودي .. وفنونه واتجاهاته ونماذج منه** . وقد أفرد المؤلف فيه فصلاً كاملاً (الفصل الثاني) عن الرواية السعودية كمقدمة نظرية تعرض النشأة والتطور والاتجاهات ..النماذج والإضاءات).

بدأ ناقدنا (الشنطي) هذه الحقبة التاريخية من عمره في أرض الحرمين مُعلّماً في ثانوية تبوك ، ثمّ مُدرساً بالجامعة بعد تحصّله على الدكتوراه في نقد الرواية العربية في مصر ، فأستاذاً مساعداً ، فرئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها في كلية التربية بجامعة حائل (كلية

المعلمين سابقاً ، الآداب حالياً) منذ عام 1404ه . ولم يحل الدرسُ الأكاديمي في أن يُساهم في الحياة الثقافية والفكرية على أرض المملكة بصورة فاعلة ، فتظهر شخصيته النقدية " بنفسه الجميلة التي ترى كلّ ما حولها جميلاً (8) " . وسط هذا الحراك الاجتماعي الذي تزامن مع زيادة وتيرة التقدم التنموي ، صاحبه تقدّمٌ في الانفتاح الثقافي لاسيّما بعد عودة المبتعثين من الغرب ، وبعض البلدان العربية كمصر ، من أساتذة الجامعات وأصحاب الفكر والرأي ، وانتشار المنابر الأدبية والمؤسسات الثقافية والصّحافية في ربوع الوطن السعودي ، وتبنّي المملكة العديد من الندوات والملتقيات والمؤتمرات التي أعطت خصوبة ونضجاً للحياة الثقافية في أرجائها..

ومن ثمّ مهّد هذا المناخ الطريق أمام الإبداع السعودي ليتوهّج ويتنوع ، ومنه **(الرواية)** التي توهّجت توهّجاً ملحوظاً ، وتنوعت وتشكّلت في مضامينها ، وخطابها الفني المتطور ، المعبّر عن الواقع

وقضاياه حتّى غدت جنساً أدبياً منافساً للأجناس الأخرى ، وذلك على أيدي مجموعة من كتّاب المملكة الروّاد ، بداية من مرحلة المخاض

أو الإرهاصات الأولى ، وحتى تطورها وتشكلها البنائي المتنوع في حاضرنا العربي ؛ أمثال:

عبد القدوس الأنصاري ، محمد علي مغربي ، أحمد السباعي ، حامد دمنهوري ، حمزة بوقري ، إبراهيم الناصر ، فؤاد صادق مفتي ، أمل شطا ، عصام خوقير ، عمر طاهر ، عبد العزيز مشري ، طاهر عوض سلام ، محمد زارع عقيل ، حمد الراشد ، محمد عبده يماني ، عبد الله جفري ، عبد العزيز الصقعبي ، فؤاد العنقاوي ، غالب حمزة أبو الفرج ، رجاء عالم ، غازي القصيبي ، عبده خال ، تركي الحمد ، محمد علوان ، فهد العتيق ، يوسف المحيميد ، أحمد

أبو دهمان ، والشاعر علي الدميني صاحب الرواية التي أجهزت على التّابو السياسي " الغيمة الرصاصية " ، وغيرهم ممن تحفل بهم ساحة الإبداع الروائي اليوم على امتداد خارطة الوطن العربي.

ومن جانب آخر ، أتاحت تلك الخصوبة في الحياة الثقافية ، وذلك الإبداع المتوهج المتنوع على أرض المملكة مناخاً صحياً للنتاج النقدي والعلمي ، حيث مكّن ناقدنا الشنطي في أن ينفتح على الأدب العربي السعودي تأليفاً وتنظيراً وتدريساً ، وبخاصة الرواية " المدينة له بفصولها (9) " .

فالرجل _ " ومنذ أواسط السبعينيات ، وفي غمرة تشكل ذائقة جديدة ، وهموم ثقافية وفكرية مغايرة ، وبروز الكثير من الأصوات المبدعة اللافتة – بدأ ممارسة فعله النقدي واحتفائه بالنتاج الإبداعي الحديث ، ليسهم في لحظةٍ تاريخيّةٍ مواتية في لعب دور الناقد والمعلم في آن ... يتابع بدأب للأقلام الجديدة ، وقراءة نتاجها وفق منهج نقدي اهتم بتحليل مكونات الخطاب الإبداعي ، وعلاقاته بتشكيل جمالية الرؤية . وقد أثمر هذا الجهد عن مؤلفين بارزين ، أولهما : عن تجربة القصة القصيرة في المملكة خلال تلك الحقبة . وثانيهما : عن الرواية ومحاولة البحث عن معنى وتأصيل لهذا الفن المديني العصيّ على الاستنبات في مناخ يمر بتحولاته الكبرى ، وحمولاته السسيولوجية المعقدة صوب هواء المجتمع المديني والمدني معاً (10) . الأمر الذي أكده الكثير من مثقفي ومبدعي ونقاد المملكة في تكريمهم للرجل الذي أخلص لأدب بلاد الحرمين ، وأعطاه الكثير والكثير من ربيع عمره دون ضجر أو تقصير أو تسويف.

• قالوا عنه..

*** الدكتور عبد الله الغذامي :**

إنّ الدكتور محمد بن صالح الشنطي ، له دور بارز في المتابعة الثقافية في المملكة على مدى يمتد أكثر من عشرين عاماً ، في حين كانت هناك غفلة تُشبه الإهمال للنّص السردي والروائي ... فقد اهتمّ هو بسدّ هذه الثغرة الواضحة ، وتابع بمثابرة وإخلاص ...(11) .

*** الدكتور ســـــعد البازعي :**

إنّ كتاب الدكتور الشنطي (فن الرواية في الأدب السعودي) إضافة هامة للنقد في هذه البلاد ... وكنت قد قلت يوماً : إنّ كلّ مشتغل بالأدب والنقد بالمملكة سيظل دائماً مديناً لهذا الناقد المتميّز بما قدّمه للأدب العربي في هذا الوطن خاصة . وما هذا الكتاب إلاّ لبنة أخرى ترفع من قامته المديدة ، وتدل عليه رغم بعده عن الضجيج ، وتحفّزنا لمشاركته زهو البناء (12).

*** الدكتور منصور الحازمي :**

إنّ الدكتور الشنطي باحث يتّسم بالجديّة والصبر والدأب ، إلي جانب ما يتمتّع به من ذائقة نقدية ممتازة ،واطلاع واسع على التيّارات النقدية والأعمال القصصيّة المعاصرة...(13) .

*** عبد الله بن عبد الرحمن الزِّيد :**

وإنّ ساحتنا الثّقافية بكل أطيافها شاهدةٌ بإحدى تجليات العبقرية والمثالية لدى كاتبنا وناقدنا ومسجل السيرة الذاتية لحضارتنا .. الدكتور محمد الشنطي ، إذ :

- الشعر يحتفلُ به ويتغنّى ويَغْنَى بصفاته .. والنقد يكتمل بتناوله وآلياته .. والرواية مدينة له بفصولها .. والقصّة مشغولة برد جميله وجمالياته (14) .

*** الشاعر السعودي عبد المحسن يوسف :**

إنّ الشنطي يستحق أن يُكَرّم ، فهو الناقد العربي الذي عاش بين ظهرانينا بدون جلبة فارغة .. أو ضجيج تافه .. انحنى ظهره وهو ينتج ، لتزدهر الحركة الأدبية الجديدة لدينا (15) .

*** القاص السعودي خالد اليوسف :**

من منّا لا يعرف كتابات ودراسات هذا الكاتب العربي الساكن في وجداننا منذ ثلاثة عقود ، كما هو ساكن في وطنه الثاني . ساعد على وصول إبداعنا من خلال مؤلفاته التي تجاوزت عشرة كتب عن الأدب السعودي . نحن سعداء في حضرة الشنطي (16).

*** محمد بن أحمد المشدي :**

المتابع لتجربة الشنطي في تعاملها مع الأدب السعودي .. لن يجد صعوبة تُذكر في معرفة أنّها تجربة لم تقم على الانتقائية ، ولم تخضع لشروط الخيارات النخبوية ، وأبسط دليل على ذلك اتّساع دائرة اهتمامها بالمنجز السردي السعودي على وجه الخصوص .. فالناقد الشنطي _ ومنذ أواخر الثمانينات الهجرية ظلّ يتواصل ويُقدّم لثقافتنا رؤية منصفة أسهمت في غرس بذور الإبداع والمعرفة في نفوس أجيال كاملة من الأدباء والنقاد .. حتى تخرّج على يديه العديد من طلاب العلم في الجامعات ... وتواصلت إصداراته فيما يتعلّق بالسرد والرواية والقصة السعودية لتكون هذه المؤلفات مرجعاً للدارسين ، وتوثيقاً لمسيرة أدبنا السعودي (17).

*** الدكتور عبد الله المعيقل :**

عُرِف عن الشنطي بذله الشديد في المجال العلمي . فقد كتب في القصة والرواية والنقد ، وعاصر التجربة الأدبية بالمملكة مِمّا مكّنه من أن يتابع تطوراتها وتيّاراتها ، ووقف عن قرب على تحوّلاتها ، وبالتّالي فإن دراساته النقدية في الأدب السعودي تُعد من أهمّ الدراسات , و أكثرها شمولية ...إنّه أديب و مثقف خدم ثقافتنا، وأسهم في تقديمها إلي القارئ العربي في كلّ مكان (18) .

ولا شك أنّ هذه الشهادات الخالدة من مثقفي ومبدعي ونقاد المملكة العربية السعودية في حقّ ناقدنا الدكتور الشنطي تؤكد صوتاً حقيقاً غدا واقعاً ملموساً هو صوت الرواية العربية السعودية الواعية التي أراها مُحقّقة لوجود العربي في عوالم هذا الجنس العربي (فن الرواية) ، الذي " هو في الواقع مرآة لحركة

المجتمع العربي في الحقبة الزمنية الأخيرة (19)"..وهو ما نراه جلياً في أغلب روايات عبد العزيز مشري الذي دأب على التعبير

عن التحولات وما أحدثته من خلخلة نفسية واجتماعية في بنيةالمجتمع التعاوني أو مجتمع ما قبل التحولات الكبرى . فالبنية السردية في أعماله تكشف عن موقف غير ودّي من التحوّلات ، لكنها في الوقت ذاته لا تلغي أي بوادر إيجابية لهذه التحولات..

ففي رواية " ريح الكادي(20) " تنتهي الرواية والجيل الجديد ،جيل الأحفاد ، ما يزال يجلس على مقاعد الدرس . وهي بالتأكيد رؤية متفائلة تبشر بجيل يبني نفسه وفقاً لما تقضيه التحولات الزمنية التي سجلها المشري بوعي كبير على حدّ قول الدكتور النعمي (21) .

ذلك أنّ رواية (ريح الكادي) إنّما هي ريح الماضي بكل عبقه و عبيره الذي أصبح مجرد ذكرى نتحسس ألقها عندما ترهقنا الحياة المادية بلهاثها . فالخطاب الاجتماعي الذي تبنّته الرواية هو خطاب منحاز للحاضر ، لكن هذا الانحياز ليس اختيارياً كما يبدو، بل إنه قسري بحكم قسرية التحولات ذاتها . إنّ هذا الانحياز يأتي من فكرة التلميح إلى التركيز على التعليم كأساس لنمو اجتماعي واع لا نملك سلاحاً فعّالاً غيره في مواجهة التحديات المعاصرة . وأهمية هذا الخطاب أنه متبلور من خلال بنية الشكل ذاته (22) .

• هوامش التقديم والمحور الأول :

(1) الرواية السعودية واقعها وتحولاتها : د. حسن النعمي صـ 9-11 ط أولى – وزارة الثقافة والإعلام – السعودية – الرياض سنة 1430ه / 2009 م بتصرف .

(2) الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب : د. محمد بن عبد الرحمن الرّبيع وآخرون – ط أولى – بريدة – نادي القصيم الأدبي – السعودية - سنة 1421ه / 2000م .

(3) الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين ببليوجرافيا : د.عبد الله بن عبد الرحمن الحيدري - ط أولى – الرياض – سنة1428 / 2007 م .

(4) الدكتور صابر عبد الدايم يونس في خطابه النقدي " الشعر السعودي أنموذجاً " : د. علي عبد الوهاب مطاوع – ط أولى – قطاع كلية اللغة العربية – جامعة الأزهر – القاهرة – سنة 2010م / 2011 م .

(5) حيث ولد في فلسطين عام 1945 م .

(6) " الشنطي مخلص كشمس " بقلم الشاعر عبد المحسن يوسف – جريدة عكاظ – عدد الاثنين 9/8 /1421ه – صـ 39 ، نقلاً عن : الشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً : د.راشد عيسى ، د. شوادفي علام ، د. مصطفى الحيادرة صـ 197 وما بعدها – ط أولى – النادي الأدبي بحائل – سنة 1427 ه / 2006م بتصرف .

(7) فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر : د. محمد صالح الشنطي – ط2 – دار الأندلس للنشر والتوزيع – حائل - المملكة العربية السعودية – سنة 1424ه / 2003 م . الطبعة المعتمدة في هذا البحث ، حيث طبع أدبي جازان ط الأولى .

(8) " الشنطي من خيار الناس ! " شهادة الأديب السعودي عبد الفتاح أبو مدين – جريدة الجزيرة في 18 / 9/ 1420 ه . نقلا عن : الشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 199 .

(9) " خلاصة العبقرية والمثالية " عبد الله بن عبد الرحمن الزيد ، للمزيد يراجع : الشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 191 .

(10) " الشنطي الشاهد والشهادة " علي الدميني . يراجع هنا : الشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 185-186 بتصرف .

(11) جريدة الجزيرة : العدد(10433) في 28 / 1 / 1422ه ، والشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً :صـ 201 بتصرف .

(12) جريدة الرياض : العدد (8347) في : 18 / 10 / 1411 ه .

(13) الشنطي .. أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 191 .
(14) الشنطي .. أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 190 – 191 .
(15) جريدة عكاظ : عدد الإثنين في : 8 / 9 / 1421ه صـ 39 .
(16) جريدة الجزيرة : العدد (10433) في 28 / 1 / 1422 ه .
(17) جريدة الجزيرة : العدد (10433) في 28 / 1 / 1422 ه ،و الشنطي .. أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 204 – 205 بتصرف .
(18) الجزيرة : العدد (10433) في 28 / 1 / 1422ه ، والشنطي .. أستاذاً وناقداً وإنساناً : صـ 206 .
(19) الاتجاه الإنساني في الرواية العربية : د . مصطفى عبد الغني صـ 111 – ط مؤسسة اليمامة الصحفية – الرياض – سنة 1426 ه / 2006 م .

(20) ريح الكادي : رواية عبد العزيز مشري ، ط بيروت ، 1993م .
(21) الرواية السعودية واقعها وتحوّلاتها : ص 65 بتصرف .
(22) للمزيد حول هذه الرواية وموقفها الفلسفي وتضافر بنيتها الشكلية ومضمونها ، راجع : الرواية السعودية واقعها وتحولاتها : من ص 67- ص 69 .

&&&

المحور الثاني:

- **مقاربات " الشنطي " النقدية .. في عوالم الرواية السعودية**

إن المتأمل المدقّق في المنجز العلمي الذي قدّمه ناقدنا العربي الدكتور محمد صالح الشنطي حول فنّ الرواية العربية في أرض الحرمين عبر حقبة من الزمن امتدّت أكثر من عشرين عاماً اجتذّها من ربيع عمره ، قضاها في التأصيل والتنظير للأدب العربي السعودي ، لاسيما النصّ السردي ، والروائي منه بخاصة ، وهو يتحرّك ويتحول على خلفية التّغيّر الاجتماعي ، " إيماناً منه بأنّ الرواية أقرب الأجناس الأدبية إلى التقاط وجيب المجتمع ونبض حركته (1) " ، وأنها دون غيرها لا تزال " هي الأقدر على استيعاب التحوّلات الحضارية الأشمل في تاريخ المجتمعات والأفراد (2) " – يرى ناقداً مخلصاً لإبداع العربية ، واعياً مُدركاً لرؤاه في مشروعه المتميّز ، ورسالته النقدية التي بوّأته مكانة بارزة بين النقاد العرب الذين ولجوا عوالم الإبداع السعودي المعاصر بهذه الجرأة..

فهو من طراز أولئك النقاد الذين بلغ بهم المهارة أو تجاوزها ارتكازٌ على رصيد علمي معرفي ثقافي شامل ، فكان في طروحاته واثقاً هادئاً تدفع به رزانة الكبار من النقّاد إلى المكان الذي يجعلك تجزم من خلال النظر في هذه الطروحات النقدية التي أعملها بفاعلية في المشهد النقدي السعودي المعاصر خاصة، والمشهد النقدي العربي عامة ، أقول : يجعلك تجزم بأنّ ليس ثمة فاصل بين واقعه كإنسان ، وواقعه في طروحاته كناقد يمتلك بمهارة – القدرة على النظر الكاشف المنقب : فكما هو إنسان رزق القدرة على احتواء الموقف السلوكي اليومي الواقعي بما قد يكون فيه من نزق واندفاع وثورة إنسانية وجموح ، كان ناقداً قادراً على احتواء المواقف النقدية الآخذة أحياناً في الشدّ والجذب, والمدّ والجزر، مناقشاً في هدوء ، وراصداً في تؤدة ، وموجهاً في سكينة وتواضع ، ومنظراً في مرونة واستشراف .

ولن نترك سبيل الاسترسال أمام النفس مفتوحاً إلى الغايات الكثيرة المتعددة ، إذْ تبقى النصوص التي ترسم صورة النقد الهادف ليه شواهد على صدق ذلك وواقعيته ، ومن ذلك قوله في مقدمة طرحه لمعالم فن الرواية في الأدب السعودي المعاصر(3):

" وقد حاولت جهد الطاقة أن ألتزم بالنصوص الروائية تحليلاً ودراسةً بإيجاز ما أمكن ، وكان همي الرئيس أن أستكشف المداخل ، لذلك لم أطل في عملية التحليل إيماناً منّي بأنّ الرواية المحلية مازالت الطريق أمامها ممتدة ، وهناك أجنّة مذخورة مازالت مشاريع تتفاعل في عقول أصحابها ووجداناتهم ، وأنّ السنين القادمة ستشهد مخاضاً للعديد من الأعمال المتميزة (4) ".

وهو الذي مارس نقد الرواية السعودية دون مجاملة لأحد ، أو لينال من أحد ، أو لينتقص من أحد ؛ بل تراه راصداً موثقاً لكل عمل روائي يتوافر عليه ، دون الوقوف على أعمال بعينها ، أو أسماء بشخصها ، لتفردٍ ، أو تميّزٍ ، أو شهرةٍ ؛ حتى جاء منهجه في دراسته للرواية في المملكة العربية السعودية على حدّ قوله : " تتبّعياً استقصائياً (5) " أفرز إحدى وسبعين عملاً روائياً لاثنين وأربعين كاتباً سعودياً من أجيال متباينة متعاقبة ، دون قصد أو اختيار فني " يضئ جوهر السمات والمكونات الروائية ، ويكشف عن الآليات والتّقانات وأبعادها الفكرية والفنية (6) " ، أمثال : إبراهيم الناصر الحميدان ، أمل محمد شطا ، حامد دمنهوري ، سلطان سعد القحطاني ، رجاء عالم ، عبد العزيز مشري ، عصام خوقير ، فؤاد صادق مفتي ، ناصر الجرشي ، وغيرهم ممّا ضمّه منجزه العلمي (**فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر**) في بابيه الرئيسين:

- **<u>الأول: هاجس التحوّل ...</u>**

بفصوله الخمسة : (المخاض ، التشكيل ، الملحمة ، المرأة وقضية التحوّل ، القيم) وما طرحته هذه الفصول من محاور ورؤى تمثّلت في :

- الإرهاصات والبشائر .. دراسة في الأعمال الروائية لعبد القدوس الأنصاري ، ومحمد علي المغربي ، وأحمد السباعي . المنعطف : دراسة في روايات حامد دمنهوري . التحقق الذاتي والهوية المكانية : دراسة في أعمال حمزة بوقري ، وفؤاد العنقاوي ، وسيف الدين عاشور .
- مشكلات الواقع الجديد بين الرؤية المثالية والرؤية الموضوعية : دراسة في أعمال إبراهيم الناصر (ثقوب في رداء الليل ، سفينة الموتى .. التي نشرها بعد ذلك تحت عنوان : الضياع ، عذراء النفى ، غيوم الخريف) . هموم الواقع وهموم الذات من منظور انتقادي : دراسة في رواية (القشور) لعمر طاهر زيلع .
- العالم القديم في (وسيمة) عبد العزيز مشري والحسّ التوثيقي . العالم الجديد في (الغيوم ومنابت الشجر) للمشري بين التحليل والتوثيق .
- أزمة المرأة المتعلمة في(عذراء المنفى) لإبراهيم الناصر ، والتي صوّرت في المقام الأول مشكلات الواقع السعودي الجديد في رؤية تراوحت بين المثالية والرومانسية . تعليم المرأة في(لا يُعدّ حلماً) لفؤاد

صادق مفتي . هموم المرأة في (لا عاش قلبي) لأمل شطا . عمل المرأة في (الدوامة) لعصام خوقير .

- الرؤية الأخلاقية وتراث الحكاية الشعبية في أعمال طاهر عوض سلام (الصندوق المدفون ، قبو الأفاعي ، فلتشرق من جديد ، عواطف محترقة) . الرؤية الفكرية التعليمية في أعمال حمد الراشد ، وسلطان القحطاني ، وعبد الله سعيد جمعان ، وعبد الرحمن زيد السويداء .

- **الثاني : هامش التحوّل ...**

بفصوله الأربعة : (هموم الذات ، والاغتراب ، التسجيل والتاريخ ، التربية والدعوة) ، وما استشرفته هذه الفصول من قضايا واتجاهات وآفاق انطلقت من هذا التّصوّر :

- الرؤية الوجدانية في رواية (جزء من حلم) لعبد الله جفري . التجربة العاطفية في رواية (ما بعد الرماد) لخالد باطرفي . مشكلة الإبداع على مشارف الرؤية الاجتماعية في (رائحة الفحم) لعبد العزيز الصقعبي . الحلم بين التجربة الذاتية والحكاية الشعبية في (الحب الكبير) لناصر المجرشي .
- الصدمة الحضارية في أعمال عصام خوقير ، وفؤاد صادق مفتي . النزعة الإنسانية في (غداً أنسى) لأمل شطا . الرحلة في رواية (طائر بلا جناح)لسلطان القحطاني .

- الرواية التاريخية لدى فؤاد العنقاوي ، ومحمد زراع عقيل . الرواية التسجيلية عند غالب حمزة أبو الفرج .
- المنزع التربوي التعليمي المباشر في (دموع الندم)لأحمد بن علي حمود حبيبي . الدعوة من منظور تقريري مباشر في (أضياع والنور يبهر) لصفية أحمد بغدادي . (حي المناجرة) لعبد الكريم محمود الخطيب بين التسلية والتعليم . الاتجاه نحو التجريب ، تطبيقاً على رواية رجاء عالم (4 صفر) .

وناقدنا الدكتور الشنطي بهذا التشكيل التنظيري للرواية السعودية ، المثخن بتحولات ورؤى وقضايا واتجاهات لا قبل لها ، والتي تحتاج إلي جيش جرّار من الباحثين المرابطين لإقرارها نقديا ، إقراراً علمياً دقيقاً - قد أدخل نفسه في دوائر مغلقة سبق وأنْ دار في فلكها في الطبعة الأولى لكتابه(فن الرواية ... عام 1411ه- 1990م ..

وقد كان عليه أن يُضيف كشفاً آخر قد طرأ على بنائها الفني وجمالياته ، أو أن يأتي بجديد في تحوّلاتها وتجلياتها الفكرية أو الأسلوبية ، لاسيّما بعد انفتاح الروائي السعودي علي عوالم الرواية العربية والعالمية ،على نحو ما رأيناه عند الدكتور غازي القصيبي في روايته " العصفورية " وانفتاحه فيها على التراث نثراً وشعراً ، وإلحاحه على بعض اللهجات العربية ، في مصر ، والعراق ، ولبنان ، والسودان ، وبعض المفردات الإنجليزية ، وحديثه عن مأساة بطله (بشار الغول) في مصحة كاليفورنيا ، ليتأكد لنا في النهاية أنها رواية تُمثل بالفعل هزيمة المحاولة العربية في معركتها مع الحضارة الغربية بعد أن انفتح العرب عليها في العصر الحديث ، ونتج عن ذلك ما عُرف من بعد بـــ : صراع الحضارات.

لكن ناقدنا لم يلتفت إلي مثل هذا التحول ، ولم يتقدّم نحو جديد في عوالم الرواية السعودية التي تطورت مثل هذا التطور الملحوظ في المعاصرة وأصبح لها روادها وفرسانها ، ومكانتها على خارطة الإبداع الروائي ؛ وهو الذي عالجها بعد ذلك عام 1994م في كتابه : **" في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه "** من خلال الفصل الثاني الذي خصّ به الرواية ، وعنون له بـــــ **" الرواية ..مقدمة نظرية (النشأة والتطور والاتجاهات)النماذج والإضاءات "** .

حيث اكتفى بأن يُعيد ما طرحه من قبل ، دون تقييم أو تقويم ، أو استدراك لما فاته من قبل في كتابه (فن الرواية) ، أو تدقيق منهجي يُبرز تحوّلات هذا الفن بتحوّلات واقعه ، وتغيراته الحضارية ، التي شهدها المجتمع السعودي في الآونة الأخيرة ، مفضّلاً أن يُعيد اختراع العجلة التي اخترعت من قبل (7) ، فيجعل من الفصل ملخصاً لموسوعته عن الرواية السعودية ، ملتزماً إلي حدّ متواضع بالمنهج الوصفي التحليلي الذي أضاء بعض الجوانب البنائية والفنية في النماذج الروائية التي استشهد بها.

وقد كان الأجدر به أن يقدّم استقصاءً حول جانب واحد ، أو جانبين من جوانب التحوّل في الرواية السعودية وهي عديدة ، (كمرحلة النشأة لفن الرواية في المملكة 1930م – 1959م)..

أي في ثلاثينات القرن العشرين ، تلك المرحلة التي رصدت بوعي تلك العلاقة الجديدة التي بدأت في النموّ بين الآخر / الحضارة الوافدة ، والشرائح الاجتماعية الصّاعدة ؛ أو ينحو نحو مرحلة النّضج الفنيّ للرواية السعودية مع رائديها " حامد دمنهوري ، وحمزة بوقري " في أعمالهما : (ثمن التضحية ،

ومرت الأيام لدمنهوري ، وسقيفة الصّفا للأخير) ، والتي رصدت أبرز قضايا المجتمع السعودي في مرحلة التحول الكبرى ، وبخاصة في مكة ؛ أو ينطلق في اتجاه انطلاق هذا الفن البنائي نحو الرؤى الأخلاقية وصعود سلّم القيم التي استشرف آفاقها طاهر عوض سلام في أعماله (قبو الأفاعي ، الصندوق المدفون ، فلتشرق من جديد ، عواطف محترقة) ، والكاتب محمد زراع عقيل في روايته (بين جيلين) ، وهي أعمال جاءت واعية بهوية كاتبها ، وهويّتها الذاتية ، مدركة خطورة هذا الزحف الاستلابي للآخر تجاه مجتمعهم بقيمه وأخلاقياته.

الأمر الذي يجعلني أختلف معه في بعض الرؤى النقدية ، تتعلّق البداية بتعامله بسطحية واضحة ، دون البناء على ما اكتشفه ووقف عنده الدارسون للرواية السعودية ، في نوع من التراكم المعرفي الخلاّق ؛ أمثال الدكتور السيد محمد ديب في كتابه " فن الرواية في المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور " الصادر عام 1410هـ (8)، بينما " فن الرواية " للدكتور الشنطي صدرت طبعته الأولى عام 1411هـ . وكذلك الدراسة الرائدة للدكتور سلطان بن سعد القحطاني " الرواية في المملكة العربية ... نشأتها تطورها " الصادرة عام 1419هـ ، في الوقت الذي صدرت فيه دراسة الدكتور الشنطي " فنُّ الرواية ...." في طبعتها الثانية التي أمهرها بعبارة (مزيدة ومنقحة !!) عام 1424هـ ؛ و" هذا ما يعمق من أزمة الدراسة الأدبية العربية , ويكرس عجلة القصور الذاتي في حركتها التي لا تتقدم من خلال الوعي بالإنجاز السابق ونقده بغية البناء فوقه على أساسٍ صلبٍ متين (9) ".

أمرٌ آخر أقف عنده في هذا المنجز يتعلق بتطبيق ناقدنا مفردات المنهج الوصفي التحليلي ووقوفه عند مستويات فنية متواضعة ومقتضبة ، تكاد تتكرر في أغلب النماذج التي تعرّض لها بالتحليل ، ومن ثمّ بالشرح والإطالة ، والوصف والإحالة ممّا

يتطلبه الدرس الأكاديمي الذي أزعم أنه كان حاضراً بقوة في هذا المنجز العلمي وهو يخط سطوره ؛ فأضاع عليه التعمق في تحوّلات الرواية السعودية في مواكبتها للتغيّرات العالمية ، وما فرضته تلك المتغيّرات على تجليّاتها المتباينة ، وبخاصة هذا الزحف الحضاري للآخر نحو مجتمعاتنا العربية التي انغمست فيه بصورة جلية ، مما رصدته بعض الأعمال الروائية في المملكة.

ولعلّ هذا الانغماس في الغرب هو قدرنا في العصر الحديث ، ولا يمكن الفكاك منه خاصة مع زيادة هذا الحراك الاجتماعي ، وانفتاح المجتمع العربي على الآخر / الغرب " إمّا وافداً إلي البلاد الغربية لحاجات التنمية الاقتصادية والتربوية والاجتماعية ، أو ذهاباً للآخر للدراسة ، أو السياحة ، أو التجارة ، أو العمل ؛حتى أصبح الآخر حاضراً بقوة في حياة المجتمع العربي , وتحوّل وجوده بيننا أو الذهاب إليه ضرورة اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو سياسية عسكرية (10) !! . وعلى الرغم من ذلك يبقى الآخر هو العدو المرفوض ، أو الضيف البغيض ، أو هذا الخصم الذي وإن كان يعيش بيننا ونعيش فيه ، فإنه يظل العدو ، أو الخصم الذي يقف موقف العداء من ذواتنا ولا نقبله ، وإن ألقت الأيام بنا في أحضانه لأنه خارج الانتماء العربي ، وهو ما صورته رواية " السنيورة " (11) للكاتب السعودي عصام خوقير. .

حيث تدور حول رحلة حسين / البطل العربي الذي يُولي وجهه شطر روما لدراسة الموسيقى ، وهنا ك يلتقي بفتاة أحلامه الإيطالية (ماريانا) التي يقع في حبها ، ويتقدم للزواج منها ، وتوافق أسرتها ، ويقضي العروسان شعر العسل في أسبانيا ، حيث يُطْلِعُها على مآثر الحضارة العربية هناك في ذلك الفردوس المفقود ، ويأخذها إلي مصر ، حيث يتأملان التاريخ المصري القديم. وعند العودة إلي السعودية يحدث الصدام بين الشرق

والغرب ، فتنقسم الأسرة / المجتمع العربي حيال قبول الآخر / هذا الزواج ؛ فبينما تقبل(أم حسين) هذا الزواج وتباركه ، يرفض الأب لأن الزوجة غير مسلمة ، لكن (ماريانا) تسلم بعد أن أنجبت طفلها الأول.

إن الصراع مع الآخر صراع مستديم ، وعميق . فوالد حسين المسلم السعود ي يرفض زواج حسين من فتاته الإيطالية . فهل جاء الرفض لأنـها غير مسلمة ؟ إنْ كان كذلك ، فهو رفض إيديـولوجي مسبق ، تتحكم فيه أزمة اللقاء الحضاري . كما أنّ الرواية لا تفصح عن موقف الأب بعد إسلام الزوجة (ماريانا) ، وهو ما يرجح الموقف السلبي من الآخر بالمطلق ، وليس على المستوى الشخصي . ولعلّ في قبول (أمّ حسين) هذا الزواج ومباركته ما يمكن أن نرى فيه قدراً من الرؤية البعيدة التي يمكن أن يكون هذا اللقاء فاتحة للتقارب لا التباعد . وهي رؤية أختلف مع الدكتور النعمي فيها . إذ إنّ البطل العربي في جلّ علاقاته مع الغرب / الآخر ... جاء مخيّباً للآمال بكلّ المقاييس .

وقد اعترف الدكتور النعمي بهذا ، حينما تعرّض لرواية الكاتب الســعودي (فؤاد صادق مفتي) " لحظة ضعف (12) " التي لم يجد فيها بطله (طارق) خياراً آخر لتأسيس علاقته بالآخر إلاّ عن طريق الزواج ، ورغم أنّ هذا الزواج يثمر عن طفل ، فإنه ينتهي بالطلاق . ولعلّ العنوان يُجسد فكرة الرواية من حيث العلاقة مع الآخر ، وكأن الخطاب يفصح أنّ التقارب مع الآخر الغربي على وجه التحديد نقطة ضعف يجب توخي الحذر من الوقوع فيها . فمنذ ارتباط طارق بـــــ (ليزا) وهو يعيش تجربة انحسار نفسي ومعنوي أدّى به إلي الضياع . لقد تعلّق طارق بـــــ (ليزا) ولم يستطع أن يقاوم جاذبيتها ، فيتزوجها دون أن يخبر والديه إشارة إلي حالة الاستلاب ، وعدم الاتكاء على مرجعية تحميه من السقوط .

فالرواية تشير – وهي ترسم رحلة طارق / البطل العربي في الغرب - إلي ضعف العلاقة بين الذات العربية والآخر الغربي على وجه الخصوص على الرغم من تأسيس العلاقة على مبدأ رباط الزواج ، فإنها علاقة مستحيلة للتباين بين كينونتين باعتراف الدكتور النعمي صراحة بذلك (13).

كان على ناقدنا الدكتور الشنطي أن يبرز هذا التحول ، و أثر ذلك إيجابا أو سلباً على هويّة النص الذي يبدعه العربي آنياً ، وهوية الكاتب في الوقت نفسه ، وكيفية التعامل في حواره مع هذا الآخر ، أو حواره الإبداعي مع واقعه في ظلّ تلك المتغيّرات التي شهدتها الأرض العربية في المعاصرة ، بما في ذلك التّغيّرات القومية ، والفكرية ، والثقافية , والنفسية , والسياسية ، وكثير من التّغيّرات والتحوّلات الأخرى التي لم نجدها ، ولم نستطع استشراف آفاقها ، أو عوالمها إلاّ في الرواية ؛ " هذا العالم الجميل الزاخر بالعجائب ، والحافل بالغرائب ، عالم فيه من الجد والهزل ، والخير والشر ، والحب والكره ، والوئام والصراع ، والقبح والحسن ، والجمال والدّمامة ، والملاحقة والبشاعة ، وكلّ مظاهر الحياة وظواهرها ، وكل ما فيها من آلام وآمال ، مالا يمكن أن يكون إلاّ في الرواية من بين سائر الأجناس الأدبية (14) " ، و التي هي جزءٌ من ثقافة المجتمع على حدّ قول باختين..

حيث يرى باختين أنّ الثقافة مثل الرواية ، مكونة من خطابات تعيها الذاكرة الجماعية ، وعلى كل فرد في المجتمع أنْ يُحدّد موقعه وموقفه من تلك الخطابات . وهذا هو ما يفسر حوارية الثقافة وحوارية الرواية القائمة على تنوع الملفوظات واللغات والعلامات .. ومن هذا المنظور لا تظل الرواية صنعة وعناصر تقنية تُكتَسب . إنها ، قبل كل شيء ، إدراك لأهمية اللغة / اللغات داخل المجتمع ، وفي التراث المكتوب والشفوي ، وصياغة للحوار بين الذات الساعية للمعرفة وبين العالم الخارجي.

من هنا عدّ باختين الروائي مُنتجاً للمعرفة ، ومحاوراً لثقافته ولمجتمعه ، ومن ثمّ ، فإنّ إنتاجه لا يمكن أن يكون مادة " محايدة " تتلقفها الأسلوبية التقليدية لتصفها وصفاً لسانياً ، أو تبرز مدى تفردها التّعبيري والمعجمي . فالرواية جسم مركب من اللغات والملفوظات والعلامات ، والروائي هو منظم علائق حوارية متبادلة بين اللغات والأجناس التعبيرية ، بين لغة الماضي و لغة الحاضر والمستقبل.

لأجل ذلك ، فإنّ ناقد الرواية مُطالب بأن يُحلّل مجموع تلك المُكونات في تشابكاتها وتمظهراتها وامتداداتها الدلالية ، وأن يستعيد مسؤوليته في إنتاج المعرفة والإنصات لما تقوله الروايات بعيداً عن الاختزال (15) والإضاءات التي تبتعد بإبداع الناقد عن حقيقة الرصد النقدي الذي يضيف إلي إبداع الأفكار والمفاهيم والتجليات وباقي أنساق البناء السردي . لاسيّما وأنّ تحليل النصوص السردية صار بحاجة ماسة إلي رؤية نقدية تستنطق في الوقت نفسه السياقات الثقافية بمرجعياتها المتباينة ، وهو ما ا بتعد عنه ناقدنا كثيراً في ممارساته النقدية التي معنا ، كما ابتعد عن أسماء كبيرة أو تجاهلها لسبب ما ، أعطت للإبداع الروائي بوعي وفنية أكثر من العديد ممّن حفلت بهم دراسته.

وحسبنا أن نتوقف عند أنموذج روائي له مكانته في عوالم الإبداع الروائي السعودي ، لروائي سعودي قامة عالية رفيعة من التجارب الأدبية والحياتية في العصر الحديث ، وعلى الرغم من ذلك لم يجد إبداعه الروائي العالمي الحفاوة من الدكتور الشنطي في منجزه " فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر " سوى هذه الإشارة التي جاءت بعد ذلك على استحياء في دراسته " في الأدب العربي السعودي (وفنونه واتجاهاته ونماذج منه) ، حيث يقول :

" وهكذا فقد كانت الرواية في المملكة العربية السعودية مواكبة لحركة التطور الاجتماعي في إطار جمالياتها المخصوصة ؛ فهي لا ترصد الواقع وتسجل تفاصيله بقدر ما تنفذ إلي جوهره بأدواتها الفنية ورؤيتها الخاصة ، يشهد على ذلك الموجة الأخيرة من الأعمال الروائية التي بدت مواكبة لأحداث التطورات في الفن الروائي العربي وتتمثل في : رواية شقة الحرية ، وكذلك رواية العصفورية ...(16) " دون أن يتوقف أمام بنية دلالية ، أو بنية سردية ، أو مستوى فني ؛ وقصارى جهده حيال هذه القامة الروائية نراه قد سجّل خلاصة لورقة نقدية قدّمها ناقدنا الدكتور عبدالله الغذامي عن رواية (العصفورية) في ملتقى السرد القصصي والروائي في الطائف (10- 11) من جمادى الآخرة عام 1417هـ (17) ، وفعّل المنهج الوصفي التحليلي في معالجته النقدية لرواية (شقة الحرية) باقتضابٍ لم نر له مثيلاً فقال:

" .. أمّا شقة الحرية ، فقد نهج فيها الكاتب النهج المعروف في الرواية الواقعية العربية من حيث تسلسل الأحداث وتطورها ، ومن حيث رؤيتها وما ينبئ عنه معمارها الفني (18) وكفى !!.

لكن لم يكف هذا الرصد مبدعاً بقدر ومكانة الدكتور غازي القصيبي ، ذلكم الروائي الذي عاش بإبداعه المتنوع مسكوناً بأوجاع أمته التي لم تبرح ذاكرته يوماً ما ، بقضاياها وهمومها ، حيث تتردد في رواياته الأنفاس المتلاحقة للسخرية من الواقع العربي الرديء , والرغبة بتغييره نحو الأفضل والأجمل . نري ذلك جلياً في أشهر أعماله الروائية (شقة الحرية) . تلك الرواية التي عرضت لكثير من التيّارات السائدة في أكثر فترة فوراناً وغلياناً في التاريخ العربي الحديث بموضوعيّة تامة . فتحدّث كاتبنا القصيبي فيها عن جماعة الإخوان المسلمين ، وكان الحديث بلسان واحد منهم ، وكذلك عن حزب البعث ، وحركة القوميّين العرب دون أن ينحاز لطرف بعينه وإن أعلن عن حبه للناصرية فيها .

في هذه الرواية يختار القصيبي القاهرة فضاءً لمتنه السّردي ، ليس لأنّه عاش شبابه الدراسي فيها فحسب ، وليس لأنها مدينة قادرة على أن تُشكل قاعاً سرديا صلباً لبناءِ معمارٍ روائي عليه ، بل بوصفها – أي القاهرة – المدينة العربية الأكثر توفراً على الحداثة الثقافية والسياسية والاجتماعية ، وذات التاريخ الدستورى والبرلماني العريق ، بل لأنها في الحاضر – المصور روائيا – تُمثل المختبر للمشروع القومي الذي ستؤسس له الناصرية ، حيث الراوي يُعلن ناصريته منذ الصفحات الأولى للرواية ، وبالتحديد في صفحة 25.

" وأنّ القاهرة بالنسبة للقصيبي ليست غُربة !! بل هي عاصمة العرب ، حاضرة الإسلام ، كنانة الله في أرضه ، وأمّ الدنيا ..قاهرة جمال عبد الناصر ، وصوت العرب ، والنضال ضدّ الاستعمار ، قاهرة الأمل ، قاهرة تأميم القناة ، هكذا تحضر القاهرة في مخيلة شاب عربي قادم إليها من دولة خليجية صغيرة (البحرين) . شاب فتيّ في (السادسة عشرة) من عمره : طازج التجربة ، بريء الطوية ، فطريّ الهوى والانتماء إلي هويته الحضارية والثقافية التي يتخالط فيها القومي ، فالقاهرة (عاصمة العرب) ، بالديني (حاضرة الإسلام) ، كنانة الله في أرضه (19) .

إنّ (شقة الحرية) في مجمل القول : تأتي كفنّ حديث معادل لـــــ " الدنيا الحديثة " ، على حدّ تعبير الأديب العالمي نجيب محفوظ ، بوصفها فناً تعددياً بالضرورة ، تنويرياً

بالضرورة ، ديمقراطياً في المآل .

والنصّ الروائي بوصفه معادلاً للدنيا الحديثة كما ذهب كاتبنا نجيب محفوظ يُبين عمق الصلة مع الواقع بتحولاته ؛ هذه الصلة الحميمة التي أنتجت تنويعات وتجليات في خطابها ، وكشفت عن دلالات وظواهر سردية واضحة المعالم والرؤى . " ولعلّ إحدى الظواهر السردية البارزة في مسار الرواية العربية استثمارها تعدد المرجعيات الثقافية الخاصة بالأعراق ، والسلالات ، والثقافات ، والقيم التقليدية ، والمرأة ، والهوية ، والآخر ، ومن هذه الناحية انخرطت الرواية في الجدل الخاص بالهويات الثقافية والحضارية ، وبالانتماءات السلالية ، وبالطبائع ، وبكشف البنية الأبوية للمجتمعات الممثلة سردياً ، الأمر الذي أفضى إلي ظهور عوالم متعددة بقيمها ، وتصوراتها ، ومواقفها ، وبذلك قامت بتمثيل ثنائيات : الأنا والآخر ، والطبيعة والثقافة ، والمجتمع التقليدي والمجتمع الحديث ، وكل ذلك أسهم في إثراء البنية الدلالية ، وتعدد مستوياتها (20) . على نحو ما نرى في رواية القصيبي (7) التي لم يشر إليها الدكتور الشنطي لا من قريب ولا من بعيد وربما السبب الرئيس وراء ذلك منهجه الذي استعمله في هذه الدراسة ، حيث يقول :

" ولم يكن منهجي في دراسة الرواية في المملكة العربية السعودية اصطفائياً – بمعنى الاقتصار على دراسة الأعمال الناضجة المتميزة – بل كان تتبعياً استقصائياً (21) ..." وعلى الرغم من ذلك غضّ الطرف عن القصيبي وآخرين ممن يمثلون تقدما ملحوظا في مستويات الرواية السعودية ، وتوهجاً في بناها الدلالية ، أمثال : عبده خال ، أحمد الدويحي ، هادي أبو عامر ، تركي الحمد ، وليلى الجهني ، وطاهر أحمد الزهراني ، وغيرهم من الذين سقطوا في تتبع ناقدنا واستقصائه !!.

ورواية القصيبي (7) ليست الرواية السابعة في رحلة عطائه الروائي ، ولكن هذا عنوانها عنوان غريب ولكن الأمر سرعان ما تتكشّف غرابته حينما يتناولها الدارس بالقراءة والمعايشة ، ويجد نفسه يسير في خطّ درامي ساخر من الواقع العربي المعيش عبر حقيقة أبطالها السبعة . وقد كانت التجزئة التي يعيشها الوطن العربي أول هموم القصيبي فيها.

فها هو ذا السارد الذي يقول فيها :

" لا تخرج من بلدك إلاّ بتأشيرة خروج ... أخرج الله أرواحهم ، ولا تزور بلداً عربياً بستانياً شقيقاً إلاّ بتأشيرة دخول ،أمة عربستانية واحدة ، بألف تأشيرةٍ وتأشيرةٍ ....."

ووقفة سريعة أمام هذا العمل الأدبي المُمتع ، نرى القصيبي في هذه الرواية مُتقِناً للغته ، مُتْقِناً لعالمه التَّرميزي ، مُتْقِناً لبناء الإيحاء والدلالات العميقة ، فأبطاله السبعة هنا في هذه الرواية :

- **الصحافي ...** العميل لإسرائيل ، الذي أصبح بقدرة قادر- وهو الذي يحمل من الشهادات العلمية .. شهادة الثانوية العامة – ما لكاً ورئيساً لتحرير جريدة مشهورة .
- **والطبيب النفساني ....**المدمن ، صاحب الدكتوراه المزيفة ، والذي وقع فريسة للإيدز الذي انتقل إليه من ممارسة الرذيلة والبغاء مع مرضاه !! .
- **والفلكي الرّوحاني الدّجال** ... والذي أصبح مسكوناً بشهوانية الجن واللواط ، وغاية أمانيه في الحياة تحقيق ذلك الحلم العبثي .. غلام ورديّ جنيٌّ .

- **ورجل الأعمال** ... الذي ربح الملايين من بيع اللحم الفاسد في جميع أنحاء العالم ، ووقع في أيدي المافيا والتصفيات الجسدية .
- **والزعيم السياسي** ... الذي يقتل منافسه ، ويسير في جنازته ويستقبل المُعزّين .
- **والشاعر الحداثي المتشاعر ...** الذي راح يسرق أشعار الآخرين ليرتفع نجمه .
- **والفيلسوف ...** المليونير الذي يسطو على فلسفة غيره ببريق ماله . وكل هؤلاء مثيرون !! .

- **وجُلّنار** ... بدورها مُحركة للأحداث مثيرة , والتي جعلت هؤلاء السبعة يتزاحمون للفوز بها ، وفيهم المتزوج , والعزب ، والمطلّق ، والأرمل ... خليط اجتماعي !! .

= **والجزيرة العربستانية ... (ميدوسا)** التي جرت عليها أحداث الرواية ، مثيرة هي الأخرى إلي درجة أنها (المومس العمياء) كما وصفها الكاتب , والتي تحدّث عنها الشاعر العراقي (بدر شاكر السياب) في شعره.

واللغة في هذه الرواية – تُجاه وصف هذا العالم الغرائبي لغة ليست سريالية ، وإنّما هي لغة معبّرة عن الشر الكامن داخل الشخصيات السبع ؛ معبّرة عن الوجه القبيح العاري الذي تلوّنت به

المكانية العربستانية ؛ معبرة عن الزمن الذي يتلاشى فلا يحمل إلاّ الهوان والابتزاز، والمزيد من هذين . وهذه هي الفكرة المتشائمة التي تحملها الرواية (7) لكاتبنا القصيبي ، وإن كان الموت بحدّ ذاته لهؤلاء جميعاً هو التفاؤل !! ، حيث ماتوا جميعاً غرقاً على شاطئ الجزيرة " ميدوسا " .

مجمل القول في هذه الرواية أنها خط درامي ساخر من الواقع العربي لدرجة أنك حينما تُطالع هذه الرواية تجد نفسك كمتلق تعيش الكوميديا السوداء التي عليك أن تبكى من خلالها على نفسك ، وعلى عربستان / ذلك الوطن الذي تنتمي إليه ، وتجد نفسك أمام أديب أصيل يعيش في ضمير أمته ، ويحيا قضاياها وهمومها . وسر هذا اللإحساس إنما هو الأديب نفسه الذي " لا يلتزم بفكرة أو برأي وحسب ، إنّما يلتزم أكثر بهذا النفاذ النفسي الذي يجد فيه غيره صحة لنفوسهم ...(22) " .

وهنا تتضح حقيقة النصّ الأدبي ، حيث " لا تتحقق له سمة الفن ، ولا يتهيأ له جماله إلاّ حين يُحدث النشوة الغامرة التي تمتلك الإحساس ، وتتسلل إلي المشاعر ، وتهزّ النّفس الإنسانية هزاً قوياً (23) . ولا تتحقق هذه النشوة إلاّ إذا كان النص صاحب رسالة أو قضية . فالنص الأدبي الخالد هو الذي يحمل قيمة فنية ، ومضموناً ورسالة.

ولا ريب في أنّ عنوان الرواية هنا قد وصل بنا إلي دلالات السرد الخبيئة قبل الولوج إلي حكيه ، الأمر الذي تجاهله كثيراً الدكتور الشنطي في ممارساته النقدية مع العنوان / عتبات النص الأولى ,وبخاصة عنوان رواية كاتبنا عصام خوقير (الدوامة) التي

تتناول قضية تعليم المرأة وعملها ، والتي اكتفى بالتعليق عليه أنّ الكاتب قد استقر على هذا الاسم بعد ما كان اسمها (حصاد الريح) وغيّره أيضا بـــ (المشتل المهجور) ، وكلها عناوين ابتعدت كثيرا عن لحمة النص . ذلك " أنّ العنوان الذي ينبثق من النص ، ويدل عليه ، أو على بعض ما فيه ، دون إغماض أو تعمية مطبقة ، هو الأقدر على إحداث الأثر الفني ما توافرت فيه مظاهر الإبداع . لا

سيّما وهو الذي يقدم للقارئ الرؤية الأولى لعالم النص وتجلياته ، ويرمز إلي المفتاح المفضي إلي فهمه ، وإدراك نفسية قائله (24) .

خاتمة ...

وقبل أن يتوقف القلم لابد من التأكيد على حقيقتين ، أولاهما : أن الرواية العربية السعودية قد تطورت في المعاصرة تطوراً ملحوظا في أساليبها وأشكالها ، وفي طرحها وتجلياتها ,ويكفي حجة على صدق ذلك ، هذا الاستقطاب وذلكم الاهتمام من القراء والنقاد على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم .

ثانيهما : أن هذا المنجز العلمي النقدي " فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر " للأستاذ الدكتور محمد صالح الشنطي ، سوف يظل سراجاً وهاجاً يضيء لنا ولمن سيأتي بعدنا – عوالم الرواية السعودية في آفاقها المتباينة على الرغم من اختلافنا معه في بعض المقاربات عند ممارسته النقد في بعض النصوص الروائية ؛ وهو اختلاف لا يقلل من قيمة هذه الدراسة الرائدة التي يكفيها هذا الطرح للكثير من الأسماء المبدعة للفن الروائي في أرض الحرمين الشريفين ، كما لا يؤثر هذا الاختلاف في تقديرنا لناقد عربي له مكانته وريادته وإخلاصه لإبداع العربية، حتى تسابقت المنابر الثقافية والأندية لتكريمه .

ومكانة الرجل لم تأت من فراغ ، بل يُعرف عنه النشاط الأدبي الصحفي والمنبري ، الأمر الذي أكدّ عليه في أحدث حواراته في قوله : " كنت أقدم قراءات نقدية للملاحق الثقافية : ملحق المدينة ، وعكاظ ، والرياض ، والجزيرة ، واليوم ، وفي الصفحات الأدبية لمجلات اليمامة والشرق . وتنقلت بين مختلف الأندية الأدبية وفروع الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في المملكة العربية السعودية في: جدة، والرياض، والمدينة المنورة، ومكة المكرمة، وأبْها ، والباحة ، وجازان ، والدّمام ، والأحساء ، وحائل ، والجوف ،ومشاركاته النقدية الفاعلة في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية والملتقيات والندوات في الأقطار العربية لاسيّما المملكة العربية السعودية ...(25) .

وما من شكّ أنّ الاحتفاء بالرواية العربية السعودية مؤخراً ، والتوقف أمام نصوصها رصداً لتطورها ، وتسجيلاً لمراحلها ،واستشرافاً لبنائها وتشكيلها الجمالي والمعرفي ، واستجلاءً لتفاعلها مع المجتمع بشتى أنساقه المتباينة وقضاياه المتعددة أصبح ضرورة نقدية ، مِمّا يؤكد أن الرواية العربية السعودية المعاصرة أصبح نصاً

فاعلاً ،محلياً ودولياً يستدعي أقلام النقاد والدارسين والباحثين حوله.

- **هوامش المحور الثاني :**

(1) فن الرواية في الأدب العربي السعودي : د. محمد صالح الشنطي صـ 9 . (2) السابق : صـ 20 . (3) نفسه : صـ 13 .

(4) " البناء الفني في الرواية السعودية " د. عبدالله أبوهيف : جريدة الرياض : العدد (14976) _ الخميس 2 من رجب 1430هـ / 25 من يونيو 2009م .

(5) الشنطي استاذاً وناقداً وإنساناً : د. راشد عيسى وآخرون ، نشر النادي الأدبي بحائل ، ط أولى ، 1427هـ- 2006م ،ص 72 .

(6) فن الرواية في الأدب العربي السعودي ، ص 12 .

.

(7) هكذا كما يقول التعبير الإنجليزي الشهير : " لماذا تعيد اختراع العجلة إذا كانت قد اخترعت من قبل ؟! .

(8) طبعة أولى _ دار الطباعة المحمدية – القاهرة سنة 1410 ه / 1989م .

(9) الرواية العربية ..ممكنات السرد : أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر : 11-12 من ديسمبر سنة 2004م _ ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ج2 صـــ156 _ الكويت 2009 م .

(10) الرواية السعودية .. واقعها وتحولاتها : د. حسن النعمي صـــ 50 بتصرف .

(11) السنيورة : رواية عصام خوقير – جدة – تهامة 1980م. (10) لحظة ضعف : فؤاد صادق مفتي – جدة –تهامة 1981م .

(12) راجع هنا للمزيد : الرواية السعودية واقعها وتحولاتها : صـ 51 ومابعدها .

(13) ملامح الأدب العربي المعاصر بالسعودية .. متابعات نقدية لمساراته المعاصرة : د. عبد الملك مرتاض صـــ 109- كتاب الرياض (127) – ط أولى _ سنة 1425ه / 2004 م

(14) الخطاب الروائي : ميخائيل باختين – ترجمة : محمد برادة صـــ 22 ط أولى – دار الفكر _ القاهرة 1987م بتصرف .

(15) في الأدب العربي السعودي "وفنونه واتجاهاته ونماذج منه " : د. الشنطي صـــ 505، 506 _ ط الرابعة 2006م .

(16) المرجع السابق : من صـــ 527 وما بعدها .

(17) " المنظور القومي التنويري الليبرالي عند غازي القصيبي " للناقد السوري الدكتور . عبد الرزاق عيد : المجلة الثقافية : العدد (273) – السنة السابعة – الخميس 8 من ربيع الأول 1430ه / 5 من مارس 2009م .

(18) الرواية العربية .. الأبنية السردية والدلالية : د. عبد الله إبراهيم صـ 136 – كتاب الرياض - ط أولى _ 1428ه / 2007م .

(19) فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر : د. الشنطي صـــ 13 .

(20) الأدب في عالم متغير : د. شكري محمد عياد صـــ 165 بتصرف .

(21) محاضرات في الأدب : عبد الحميد المسلوت صـ29.

(22) مدخل إلي دراسة العنوان في الشعر السعودي : د. عبد الله بن سليم الرشيد صـ 18 ، صـــ 60 ط أولى - نادي القصيم الأدبي – بريدة 1429 ه / 2008 م

(23) محاضرات في الأدب : د . المسلوت ، ص 31

(24) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي : ص 18 .

(25) مجلة الأدب الإسلامي : العدد (94) ، رمضان 1438هـ/يونيو2017م،ص 27.

&&&&&&&&

***مصادر ومراجع البحث :**

- الأدب السعودي بأقلام الدارسين العرب : د. محمد بن عبدالرحمن الرّبيع وآخرون ،ط أولى ، بريدة ، نادي القصيم الأدبي ، المملكة العربية السعودية ، 1421هـ /2000م .

- الأدب في عالم متغيّر : د. شكري محمد عياد ، ط القاهرة ،1971م.

- الاتجاه الإنساني في الرواية العربية : د. مصطفى عبدالغني ، ط مؤسسة اليمامة الصحفية ، الرياض ، 1426هـ / 2006م .

- الخطاب الروائي : ميخائيل باختين ، ترجمة : محمد برادة ، ط أولى ، دار الفكر ، القاهرة ، 1987م .

- الدكتور صابر عبدالدايم يونس في خطابه النقدي .. المنهج / التنظير / التطبيق " الشعر السعودي أنموذجاً " : د. علي عبدالوهاب مطاوع ، ط أولى ، قطاع كليات اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، 2010م / 2011م .

- الرواية السعودية واقعها وتحولاتها : د. حسن النعمى ، ط أولى ، وزارة الثقافة والإعلام ، السعودية ، الرياض ، 1430هـ / 2009م .

- الرواية العربية .. الأبنية السردية والدلالية : د. عبدالله إبراهيم ، كتاب الرياض ، ط أولى ، 1428هـ / 2007 م .

- الرواية العربية .. ممكنات السرد : أعمال الندوة الرئيسية لمهرجان القرين الثقافي الحادي عشر : 11-12 من ديسمبر 2004م ، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 2009م .

- ريح الكادي : رواية عبدالعزيز مشري ، ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، عام 1993 م .

- السنيورة : رواية عصام خوقير ، جدة ،المملكة العربية السعودية ، تهامة ، عام 1980 م .

- الشنطي أستاذاً وناقداً وإنساناً : د. راشد عيسى ، د. شوادفي علام ، د. مصطفى الحيادرة ، ط أولى ، النادي الأدبي بحائل ، المملكة العربية السعودية ،1427هـ / 2006م .

- فن الرواية في الأدب العربي السعودي المعاصر : د. محمد صالح الشنطي ، ط 2 ، دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، المملكة العربية السعودية ، 1424هـ / 2003م .

- في الأدب العربي السعودي وفنونه واتجاهاته ونماذج منه : د. محمد صالح الشنطي ، ط 4 ، 2006م .

- لحظة ضعف : رواية فؤاد صادق مفتي ، جدّة ، المملكة العربية السعودية ، تهامة ، عام 1981م .

- محاضرات في الأدب : عبد الحميد محمود المسلوت ، ط أولى ، دار الطباعة المحمدية بالأزهر ، القاهرة ، 1381هـ /1962 م .

- مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي : د. عبد الله بن سليم الرشيد ، ط أولى ، نادي القصيم الأدبي , بريدة 1429هـ/ 2008م .

*** المجلات والصحف :**

- جريدة الرياض : العدد (8347)، في 1411/10/18هـ .

- جريدة الجزيرة : عدد 18 من رمضان 1420 هـ .

- جريدة عكاظ : عدد الاثنين 8 من رمضان 1421هـ .

- جريدة الجزيرة : العدد (10433) ، في 28/ 1/ 1422هـ .

- المجلة الثقافية : العدد (273) ، السنة السابعة ، الخميس 8من ربيع الأول 1430هـ - 5 من مارس 2009م .

- جريدة الرياض : العدد (14976) ، الخميس 2 من رجب 1430هـ الموافق 25 من يونيو 2009م .

- مجلة الأدب الإسلامي : العدد (94) ، رجب - رمضان 1438هـ/ إبريل – يونيو 2017 م .

&&&&&&